كلمة الحاج قاسم سليماني في الاحتفالية التكريمية التي أقميت في الذكرى السنوية العاشرة لاستشهاد الحاج القائد عماد مغنية.

طهران | الخميس 14. شباط. 2018

إلى روح الإمام المطهرة رضوان اللّه تعالى عليه وجميع شهداء العالم الإسلامي وشهداء الثورة وشهداء الدفاع المقدّس وشهداء المقاومة في فلسطين ولبنان وكافة أرجاء العالم الإسلامي، نهدي لهم جميعاً ثواب سورة الفاتحة مع الصلوات.

قبل كل شيء أرحب بالحضور، جميع الضيوف الأعزاء والشخصيات الجهادية من الإخوة والأخوات. وأحيي ذكرى شهداء المقاومة وخاصة الشهداء القادة الأجلاء الشهيد الشيخ راغب حرب والسيد عباس الموسوي والشهيد عماد مغنية.

هذه المرة الأولى التي يحتفى فيها بالشهيد ضمن إطار علمي حيث أن إسم الشهيد عماد مغنية يبعث على الأمل والنجاة، وقد إختار لنفسه الشهيد، في بداية عمله إسم «مختار»، ثم إختار إسم رضوان في وسط الطريق، وفي النهاية نال رضوان اللّه. وأنا بحسب معلوماتي تم اختيار مقالات متعددة من قبل لجان مختلفة. وأنا بدوري للمرة الأولى أريد أن أتحدث عن صديق عزيز قضيت معه فترة مهمة من حياتي الجهادية. هذه الشخصية بقيتْ إلى الآن مجهولة وغير معروفة بسبب طبيعتها. ولم يُعرف قدرها بين الشباب المجاهد في العالم الإسلامي سواء من السنة أو الشيعة وحتى لدى العالم المسيحي والذين يناضلون في سبيل الحق. وليس بإمكان هذا الملتقى أن يبرز قدر ومكانة الشهيد مغنية، ولا أي ملتقيات أو مؤتمرات أخرى، بل ذلك يحتاج إلى عزم وهمّة من قبل الكتاب والفنانين والمخرجين والشخصيات المعنيّة بتقديم وإبراز مثل هذه الشخصيات، واليوم يقع على هؤلاء واجب العمل على التعريف بتلك الشخصيات العظيمة في سبيل تقديمهم والتعريف بهم بشكل أفضل بهدفِ إنارة الطريق.

نعيش اليوم الذكرى السنوية العاشرة لاستشهاد أسطورة العصر. وكلمة الأسطورة هذه نتداولها كثيراً على ألسنتنا ونطلقها على شخصيات مختلفة. ولكن الحقيقة أنني لا أعرف أحداً بين عموم المجاهدين الذين إستشهدوا، أو بين المجاهدين في جبهة المقاومة، الذين يواجهون الشهادة وينتظرونها، لا أعرف بينهم أسطورة كالشهيد الجليل عماد مغنية. الشخص الذي أذهلت شهادته العالم وأحدث حزناً كبيراً في العالم الإسلامي. بعد

رحيل الإمام الخميني] رضوان اللّه تعالى عليه]، لم أعرف شخصية غير معممة غير الملبسة بلباس علماء الدين أوجدت بشهادتها حزناً عاماً وعميقاً في أرجاء العالم الإسلامي كالشهيد عماد، لم يكن الأمر محدوداً بلبنان فقط، بل كافة العالم الإسلامي. وسوف أوضح سبب ذلك خلال كلمتي هذه، لماذا حلّ هذا الحزن في ذلك اليوم، ولماذا مازال الكثيرون يحملون هذا الحزن معهم لغاية اليوم.

قبل الدخول في بحث شخصية الشهيد عماد، أود الإشارة إلى نقطة ذات أهمية من الناحية التربوية، وهي: «ماهي العوامل التي تؤدي إلى بلوغ الإنسان لهذه المرتبة الكبيرة من التضحية والإيثار والنبوغ.» هل كان ذلك خصوصية ذاتية لدى الشهيد عماد مغنية، أم أن هذا سبيل وطريق يُستطاع ايجاده. و في حال أوجده الإنسان سيكون بإمكانه تربية عشرات الأفراد في هذا الطريق.

هنالك عاملان أساسيان يتحكمان بإستمرار بشخصية الإنسان. وجذور إستقامة أو تزلزل الإنسان، ترتبط بهذين العاملين، فالرغبة إذا كانت متدنيّة لمستوى الأرض، وإذا كان الهدف كذلك، فإنها ستحبس الإنسان في ذلك المستوى المتدنّي، ولكن إذا كانت هذه الرغبة سامية ورفيعة، فإنها سترفع الإنسان وتحلّق به إلى القمم فوق الأرض. وهذا الأمر يعتبر هامًا للغاية في الجانب التربوي. طبعاً ترتبط إرادة الإنسان برغباته. فالرغبة والتعلّق يلعبان دوراً محورياً في إرادة الإنسان. فلو أردتم معرفة الأفراد وإكتشاف نقاط قوة وضعف إرادتهم، يجب عليكم النظر إلى رغباتهم وتعلقاتهم. هل رغباتهم وتعلقاتهم عالية وسامية أم أنها محدودة؟. حينما يريدون تعريف شخص أو مدحه يقولون أن الإنسان موجود متحرك، وحركته بسبب تعلقاته. إذ أن التعلق بالأشياء الدنيوية تحطّ من قدر الإنسان، والتعلق بالأمور السامية والرفيعة، تجعل الإنسان فوق الأمور الدنيوية وتتسامى به. فأينما بحثتم في حياة وشخصية الأشخاص المؤثرين، ستصلون إلى هذه الحقيقة. وإذا عاينتم شخصية كشخصية الإمام الخميني رضوان اللّه تعالى عليه، فقد تحرك عكس إتجاه التيار السائد، وقام بتحويل أمر مستحيل وغير ممكن إلى أمر ممكن. ذلك يعود إلى رغبات وتعلقات وإرادة الإمام. فتعلق الإمام لم يكن دنيويًا ورغباته وآماله لم تكن دنيوية، ولم تكن رغبات وضيعة. لذلك نال التوفيق. ونوايا الإنسان أيضاً تعتبر جزءًا وشريحة ومقطعا من آماله وتعلقاته، حيث قيل الأعمال بالنيات. لذلك فإن التعلقات والآمال لها الأثر الرئيسي في إرادة الإنسان وفي كافة خطواته وآثاره الحركية، وهذا الدور يعتبر دوراً أساسياً.

إذا كان تعلق الإنسان بالشهادة، فإنه سيعيش نفس الحالة والشعور الذي يشعر به في حال الخطر أو الإنتصار أو في وقت الخسارة والإنكسارلن تترك الأحداث أي أثر عليه. أنتم رأيتم في كلمات الإمام رضوان اللّه تعالى عليه، حينما سقطت مدينة خرمشهر، فقالوا كنا نريد أن نخبر الإمام بهذا الخبر في وقت الصلاة بعد مغادرته مستشفى القلب، وخفنا ان يترك الخبر أثراً سلبياً على صحة الإمام، ولكنهم كانوا مجبرين أن ينقلوا الخبر إلى الإمام ويقولوا له بأن اول مدينة وأهم مدينة سقطت بيد العدو. وحينما جاءوا والإمام كان يقف لإقامة الصلاة، قالوا له بهدوء بأن مدينة خرمشهر سقطت. فقال لهم الإمام: وإن يكن..سوف نستعيدها..اللّه أكبر .. ودخل في الصلاة. هذه هي قدرة التعلق. وما ترونه اليوم تحت ظروف الحصار في فلسطين من صمود وثبات رغم كل الخذلان الذي يتم من جانب الحكومات العربية، في حين ثباتِ المجاهدين في الساحة، فهذا يعود أيضاً إلى التعلقات والآمال، فإنّ تأثير التعلق في آمال وإرادة الإنسان، أمر مهم بالنسبة للإنسان الذي يروم بلوغ مكانة سامية، فينبغي عليه وضع هذا الأمر في مكانة عالية.

عماد، رضوان اللّه تعالى عليه، كان شخصية ربما خلال الحرب يجلس معك ويتناول الطعام والشراب وله حياة بشرية إعتيادية، ولكن أي من العوامل المادية الدنيوية لم تصبح محوراً لتعلقاته، وحتى الأولاد لا يصبحون محور تعلقات هكذا إنسان. أنا أتذكر أحد الشهداء حينما كان يريد توديع أهل بيته كان يغطي وجه إبنه، فقالوا له أنظر إليه، فقال أخاف أن يؤثر عليّ. الشهداء هم أكثر الناس عاطفة وحنانا، ولكن تعلقاتهم كانت سامية، وسأتناول ذلك في شخصية الشهيد عماد، ولكن لأنهم كانوا يشعرون بتعلقات رفيعة ومسؤولية ثقيلة، لذلك فإن هذه العاطفة كانت تمثل عائقاً بالنسبة لتلك التعلقات. وعكس ذلك يؤدي لنفس النتيجة، فإذا إنعكست هذه التعلقات، فإن الانسان لن يسمع صراخ ونداء أي مظلوم، ولن يتأثر بأي مشهد مؤلم، لأنه سيكون مشغولاً بأشياء وضيعة. هذا هو أثر التعلق، الذي يمكن ترويضه بالمراقبة الدينية، ليس بالإمكان القول بأن الشهيد عماد مغنية كان متخصصاً في أحد الأبعاد، مثلاً في حرب العصابات، نعم كان متخصصاً في حرب العصابات. ولكن ما كان موجوداً خلف ذلك وجعل العدو يشعر بالعجز أمامه رغم إمتلاكه لتلك الخبرة، فتلك القدرة التي كانت فوق قدرة العدو رغم قدرة التخصص التي كان يمتلكها، كانت تعلقاته. فحينما تكون تعلقات الإنسان سامية، فإنه يبتسم حين يسمع بخبر الموت. وحين يكون تعلق الإنسان متدنياً، يشعر بالوحشة والذهول حين يسمع بخبر الموت. لذلك ترون في حالات الإمام الحسين سلام اللّه عليه، بأنه كلما إقترب من ظهيرة يوم عاشوراء، كان وجه الإمام يزداد نوراً. لم تؤثر عليه المصائب، ولم يصب بالوحشة.

ورمز الثبات والإستقامة في سوح القتال، يعود أيضاً لهذه الفلسفة فلماذا يفر البعض ويصمد ويثبت الآخر؟ فلسفة التعلق. الأمر الذي جعل الشهيد عماد يبرز أكثر من أي أحد آخر، وجعل منه شمساً ساطعة بين أصدقائه وبين المجاهدين، كان الفرق في آمال وتعلقات عماد مغنية. آماله وتعلقاته، كانت فوق الدنيا والمادة ولم يكن ذلك الشخص الذي أراه وأسمعه، ولم يكن ذلك الشخص الذي كان بيننا، فهذا التعلق يكون خفياً بعض الأحيان. فربما أرى مشهداً وأتأثر وأبكي، لكن هذا التأثر سيكون للحظة بسبب وجود تعلق آخر أكثر ثقلاً يثبت قدمي على الأرض ويربط قدمي بسلاسل طويلة، فإنه لا يسمح ببقاء هذا التأثر والألم طويلاً فيزول بعد لحظات، ولكن الشهيد مغنية لم تؤثر فيه أية لحظة أو مشهد دنيوي أو طعام أو شراب أو معاشرة، بل تسامى عليها. فكانت تلك أول خصوصية وميزة في شخصية عماد مغنية، وقلما أرى أنه يتم الحديث عنها حول شخصيته. وجميع الذين يمارسون أعمال خاصة، ربما يتخصصون في أعمالهم ويصبحون محترفين، وإذا إحترف الإنسان أمراً ما، فإنه يصبح إنساناً محترفاً كالأشخاص المحترفين الذين تربيهم الولايات المتحدة في مجموعة بلاك واتر»، وهذا الإنسان ليس إنساناً منقذاً. وحين لا يكون الإحتراف والفن تحت سيطرة ذلك التعلق المعنوي السامي، سيكون دوره مخرباً كالجرافة التي تهدم كل بناء. الشهيد عماد كان علمه وعقله وشجاعته تخضع لسيطرة إيمانه، إيمانه كان يوجِد بإستمرار حداً بين عمله وإقدامه ويراقبهما بإستمرار.

لذلك حين نسأل أحد أصدقائه حول حالاته المعنوية التي رأيتها مرات عديدة، فقد كان عماد شديد البكاء، ومرة كنت معه في إجتماع، وكنا مجموعة وكان التلفزيون يبث مسلسل حياة الإمام الرضا، وفي آخر الحلقة حينما دس المأمون السم للإمام، ولحين ذلك الوقت لم يكن عماد قد شاهد هذه الحلقة، بل إنتبه إلى التلفزيون فجأة وأمعن في المشاهد، فبكى بشدة لدرجة أنه قلبَ أجواء الإجتماع. وانا رأيت في جميع أحوال عماد، فكان شكر عماد يلازم بكاءه، فحين كان يسمع بعمليات ناجحة، كان عماد يشكر

الباري تعالى بالبكاء، وأنا رأيت هذه الحالة كثيراً منه. وأحد حالات عماد الأخرى، حيث سأذكر أولاً حالاته المعنوية وإذا أسعفنا الوقت سأتطرق لتلك الجوانب التي قلما تم ذكرها. ومن حالات عماد الخاصة، أسطورة العصر هذا، هي التواضع، فقد كان إنساناً متواضعاً. فبالرغم من كل تلك الخطوات التي قام بها، لن تجدوا مثيلاً لها، وسأذكرها، فالشهيد عماد قام بتأسيس حزب اللّه قبل أن يتأسس حزب اللّه، والأصدقاء اللبنانيون يتذكرون أحداث حزب البعث وإغتيال الشخصيات اللبنانية المهمة في لبنان، وكان عمره تسعة عشر عاماً، فمن فكر بالدفاع عن الشخصيات اللبنانية التي كاد البعثيون يقضون عليهم جميعاً، فالذي فكر بذلك كان ذلك الشاب ذو التسعة عشر عاماً وهو عماد مغنية. حين تمت محاولة إغتيال سماحة آية اللّه العلامة السيد فضل اللّه، ومحاولة إغتيال آية اللّه الكوراني. فذلك الشهيد الجليل وصل إلى الشهادة بالعمل، والشخص الذي لبس لباس المواجهة والجهاد في ذلك الوقت وفقأ عين الفتنة وقطع رأسها وقضى على حزب البعث في لبنان وطردهم منه نهائيا، كان عماد مغنية. كان متواضعاً ولم يقل أبدا بأنه من فعل ذلك. أنا لم أر طوال تلك السنين التي عاشرته فيها، وخلال الأيام والليالي التي قضيناها سوية، أنه تحدث عن عملية ما لكي يطرح من خلالها نفسه ودوره وذاته، أنا لم أر ولم أسمع بذلك، في حين أنه صنع الكثير من الإنتصارات. في إحدى المرات ذهب إلى الجنوب، حيث كان يذهب بإستمرار وكان شخصاً خفياً لم يكن العدو يعرف كم المسافة بينه وبينه، وكلما إتصلت بالجنوب كانوا يقولون بأن عماد كان هنا، وكذلك الحال بالنسبة للبقاع وبيروت، فكان الأقرب للعدو، وكان يحتفظ بأقرب مسافة مع العدو لكي يعرف العدو، فمرة ذهب إلى الجنوب وعقد إجتماعا مع أصدقائه، وخلال الإجتماع كان عماد غير معروف لمعظم الحاضرين، ولكن إسم عماد كان معرفاً داخل المؤسسة، فهو كان حاضراً في كل يوم ولكنّ الكثيرين لم يكونوا يعرفونه. أحد الإخوة إعترض وقال من أنت، تأتي كل يوم وتعقد إجتماعا وتأكل معنا وترحل، عليك أن تغسل هذه الصحون، فقال له حقاً ما تقول، فذهب وبدأ بغسل الصحون وأنهى عمله وذهب، ثم بعدها سأل ذلك الشخص من يكون هذا الذي يأتي كل يوم إلى هنا. قالوا ألا تعرفه هذا الحاج رضوان، فتعجب. هذا هو التواضع والتدين، وكانت سنده خلال العمل الكبير الذي أنجزه.

أحد أهم الأعمال التي قام بها عماد، وكلمة سماحة قائد الثورة كلمة دقيقة جداً، حين قال أنه كان إبناً للإمام الخميني، لأنه كان قريبًا كثيراً من الإمام وكان شديد المحبة للإمام، كما أنه كان يعشق سماحة قائد الثورة كثيراً، وأحد الأعمال التي قام بها داخل المجتمع اللبناني المحروم، ولا أعلم لأي مقدار يصدق لبنان كلامي هذا، في خضم أجواء النزاع السياسي هذه، وإلى أي مدى تسمح الضمائر بتصديق هذا الكلام، فالذي كسر الخوف في لبنان وصفع الفزاعة، كان عماد مغنية. فقد أخاف الموت، وتمكن من تغيير المجتمع اللبناني من مجتمع ينال الضرب بإستمرار من العدو، وإيصاله إلى مكانة مستقلة وأن يوقف العدو الذي كان يهاجم لبنان متى ما شاء، وأن يبلغ بلبنان إلى مرتبة مستقلة وشامخة. فكانت بداية ذلك على يد عماد مغنية، وتم إستكماله من قبل حزب اللّه الشامخ وقيادته الرفيعة.

عماد، لم يكن مسؤولا بل كان قائدا، ولم يكن سائقا، فالبعض يكونون قادة وزعماء ومسؤولون، ولكنهم سائقون، السائق يقود ويحرك مجموعته من الخلف بيد أن القائد يتحرك أمام مجموعته ويصدر الأوامر من الأمام. أنتم رأيتم بعض النماذج التي نُشرت في مقاطع الفيديو، ففي كافة العمليات التي أدارها، ودون استثناء كان الشهيد عماد المحور الرئيسي لتلك العمليات، ومن غير الممكن أن تتم أي عمليات

من دون حضوره المباشر في الميدان وان يكون متواجداً في أقرب نقطة للعدو وكان يشرف منها على سير العمليات. كان الشهيد عماد يمتلك أسلوبا عجيبا في التعليم والتربية، فرغم انه كان مربياً وله تلاميذ كثر، ولم نسمع في تاريخ الشيعة والسنة بأن جهاداً قد حصل في مكان ما، ولم يحضر المجاهدون في درس معلمهم الشهيد عماد، ولكنه بالرغم من ذلك كان كالتلميذ والإنسان المحتاج يستفيد من تجارب الآخرين، كان يجلس مع الأخوة الفلسطينيين ويكتشف تجاربهم ويجمعها، وكان يجلس مع الأخوة العراقيين وكان يجمع وجهات نظرهم وتجاربهم، ثم كان يُعد الكوادر. فالعديد من الكوادر الكبيرة التي تم تربيتها في حزب اللّه وفي العالمين الشيعي والسني وفي فلسطين والعراق وفي إيران وأماكن أخرى، هم من الكوادر التي نشأت وتربت في مدرسة عماد مغنية. وحتى في الجانب التربوي والثقافي والعقائدي، كان يجلس لساعات مع العلماء ومختلف الأشخاص ويسجل نقاطهم البارزة في مجال التربية، ثم كان يطبقها في تربية المجاهدين، فكان يربيهم ليكونوا قادرين على تحمل الصعوبات والمشقات، وكان الشهيد عماد يمتك هذا الأثر بشكل جاد.

والنقطة الأخرى في شخصية عماد، هي أنه كان رجل المفاجآت، ففي كافة مواجهاته مع العدو الصهيوني، ورغم كل التدابير التي كان العدو يتخذها وكان يفكر ويسعى لكشفه، لكنه كان على الدوام يواجه مفاجآت جديدة في كل إجراءاته. والشخص الذي تمكن للمرة الأولى من كشف طائرات العدو من دون طيار وتمكن من إستلام صورها بشكل مباشر ومن خلالها عرف ماذا يريد العدو أن يفعل في جنوب لبنان، كان الشهيد عماد، الذي حث الهمم لذلك ووضع التصاميم، فكانت عملية أنصارية أكبر هزيمة للعدو، وكانت نابعة من فكره الفني وإهتمامه الخاص. وخلال كافة الحروب الماضية، فإن القوة البحرية للعدو الصهيوني كانت تقوم بقطع الطريق الوحيد بين بيروت وجنوب لبنان لتقطع بذلك إمكانية إرسال المساعدات إلى الجنوب لكي تسيطر بسرعة ميدانياً، أنظروا إلى تاريخ حروب الكيان الصهيوني في لبنان لتتعرفوا على دور القوة البحرية للعدو الصهيوني، وخلال حرب تموز 2006 ، قام الشهيد عماد بمباغتة العدو الصهيوني بمفاجأة جديدة، والعجيب أن الباري تعالى جعل هذا العمل يتم في اللحظة التي خرجت فيها هذه الجملة من الفم المبارك للأمين العام العزيز لحزب اللّه حين قال أنكم ترون الآن أمام أعينكم، وبالتزامن مع هذه الجملة، تم إطلاق هذا الصاروخ ودمّر البارجة الصهيونية وحذف بشكل كامل القوة البحرية الصهيونية من ساحة الحرب، وكان هذا من عمل عماد.

احدى خصوصيات الشخصيات الاستراتيجية والذين يمتلكون فكراً سامياً والمدراء رفيعي المستوى، هو أنهم يستفيدون بإستمرار من الفرص. وهذا الأمر موجود في كافة الإستراتيجيات اي إستثمار الفرص، والشهيد عماد كان يخلق الفرص من حالات الأمل واليأس على حد سواء، وعادة ما تخلق الفرص كثيراً حينما يكون هنالك أمل أو حينما يتعرض العدو للهزيمة واليأس، فهنالك يتواجد الأمل وإمكانية خلق الفرص، ولكن في أسوا الظروف وحين كان اليأس يعم بالكامل، كان عماد يخلق الفرص. ففي جنوب لبنان حين وصل العدو الصهيوني مشارف بيروت، قام بهدم بيروت، سواء المناطق الشيعية أوالسنية أوالمسيحية، ولكن خطوة إبداع واحدة تمكنت من رد كيد العدو الصهيوني إلى نحره وإفشال مخططاته، وهو التفجير العظيم لمقر ضباط الكيان الصهيوني، والذي أنقذ بيروت. فإسرائيل جاءت لكي تنصّب حاكماً في بيروت وقد قامت بتنصيب هذا الحاكم، ولكن عماد تمكن بخطوته هذه وفرصته الإستثنائية من القضاء على الحاكم وعلى حكومة هذا الحاكم وتبديد مؤامرتهم. وحين حصل الإنقلاب في جنوب لبنان، حيث كانت قوات لحد جزءا

من الجيش اللبناني ولكنهم إلتحقوا بالكيان الصهيوني وتمكن العدو من السيطرة على لبنان بقوة لبنانية، وكان امراً في غاية الخطورة، حيث أن قوة لبنانية محلية أضيفت إلى قوة الكيان الصهيوني، ولكن عماد حول هذا القلق إلى فرصة مستفيداً من ضعف العقيدة في صفوف قوات لحد ومن ثم من خلال طي صفحة قوات لحد وقتل المرتزقة والقادة الرئيسيين في تلك القوات، ليس فقط دفع بهذه القوات نحو الإضمحلال والإنهيار، بل أرغم الكيان الصهيوني على الفرار والخروج من جنوب لبنان.

وفي تلك الأيام ودون أن يعير الشهيد عماد أي أهمية للإحتياطات الأمنية، قام بملاحقة العدو بالشكل الذي جعل العدو يترك كل تجهيزاته ومعداته خلال عملية الفرار. وقد رأيتم في هذا الفيلم كيف أن العدو لم يتمكن من إصطحاب المعتقلين في معتقل الخيام، وكان جزء منهم من المجاهدين البارزين وقد فر العدو فراراً شنيعاً. وقد قيل حول حرب تموز أيضا أنّه فعل الشيء نفسه، حيث كان يعتقد بأننا لو أردنا إركاع عدو العالم الإسلامي في جميع أرجاء العالم الإسلامي، فشرط ذلك هو أنه علينا تفعيل كافة الطاقات الجهادية. الشخص الذي قام بربط الجماعات الفلسطينية بمركز دعم محور المقاومة، كان عماد مغنية. وأول من جاء بياسر عرفات إلى إيران كان عماد مغنية. وهو الذي قام مع الشهيد فتحي الشقاقي والقيادات الفلسطينية الحالية والقيادات التي استشهدت، بتأسيس الجهاد الإسلامي، وهو الذي كان يمتلك نفوذاً واسعاً في حركة حماس، وبذل جهوداً كبيرة من أجل تعزيز قدرة حماس، وكذلك الجبهة الشعبية، تيار أخينا العزيز أحمد جبريل. وكان يعتقد بأننا لو أردنا تركيع العدو، يجب علينا تبديل كافة المناطق الجهادية إلى نقاط رئيسية غير قابلة للهزيمة أمام العدو.

إن هذا الفكر نجح بالتعاون مع الأفكار المشابهة في فلسطين وخارجها، في تبديل غزة إلى قلعة منيعة. ولكن لماذا بعض المناطق ليست هكذا، اليوم في هاتين المنطقتين، منطقة غزة في جنوب فلسطين ومنطقة جنوب لبنان في شمال فلسطين، هما مصدر الإضطراب والقلق الدائم، وهي النقاط الرئيسية لإنهيار الكيان الصهيوني. ولهذا السبب أطلق الأمين العام المحترم للجهاد الإسلامي هذه الجملة بأنه في كل صاروخ يطلق من فلسطين، تشاهدون أثر بصمة عماد مغنية، وهذا الكلام صحيح ولكنه لم يكتف بذلك، لم يكتف بإنهيار حزب البعث في لبنان، بل عقد الهمم لمساعدة المجاهدين العراقيين في القضاء على حزب البعث الحاكم في العراق.

هذه الشخصية الأسطورة التي نعتها العالم بعبارات كبيرة جداً، أنا رأيت معظم التعليقات الدولية، ومئات المقالات والخطابات التي صدرت بخصوص الشهيد عماد، ولم يتمكن أي أحد منهم من ذم الشهيد عماد، بل الجميع ودون إستثناء وبشكل ذاتي مدحوا عمادا في بياناتهم، وأنا رأيت هذه الظاهرة في شخصية الإمام الخميني فقط، ففي فترة رحيله لم يجد أعداؤه وخصومه مادة للنقد سوى التقديس والمدح. لذلك فإن كل الذين إنتقدوا عمادا في الخارج، قاموا بمدحه بعبارات سامية، لأنهم كانوا يتابعون أخباره ويعرفونه جيداً كشخصية تعرضتْ لملاحقة كافة أجهزة الإستخبارات والجاسوسية الغربية وبعض أجهزة الإستخبارات العربية والكيان الصهيوني، حيث كانوا يلاحقونه بشكل مشترك، لكنه أفشل جميع مخططاتهم وإجراءاتهم على مدى 25 عاماً، لذلك مدحوه بكلمات سامية ورفيعة. تعلمون بأن جميع من جاء ليعتقل عمادا، والذين جاؤوا للتقرب من عماد، أنا أتذكر بأني كنت جالساً في مبنى مركز عملياته، فقال لي تعال إلى هنا، ثم أزاح الستار عن النافذة وقال هل ترى ذلك الطابق؛ في ذلك الطابق يوجد منظار وفريق لمراقبتي. ورغم إشرافه الشديد، كان يماشي العدو ويأتي معه إلى النقطة التي

كان يدمر فيها العدو بكافة إمكاناته وتجهيزاته، فالأميركان جاؤوا مرات عديدة وفشلوا وقُتِلوا وغادروا المكان. والإسرائيليون جاؤوا وفشلوا وقتِلوا وفروا من المكان.

عماد كان شخصية عجيبة، فكان يدخل فجأة على بيوت الذين كانوا يناصبون العداء لحزب اللّه وكانوا بعيدين عن حزب اللّه، وكان يناقشهم ويحاول إقناعهم، وكان يحاول ضمهم لمسار حزب اللّه، وفي المكان الذي لم يتمكن من ذلك، كان ينتفض ويقول أنا لست رضواناً أنا عماد مغنية، الكلمة التي كانت ترعب الكثيرين، فحينما كان يقول أنا لست برضوان بل أنا عماد مغنية، كان الجميع يراجع حساباته. لذلك ففي الكثير من المواقع التي كان يذهب إليها البعض بكتيبة أو بحماية كبيرة، كان الشهيد عماد يذهب إليها بمفرده وكان يدخل ويتباحث ويخرج. والحالة التي وصفوه بها واللقب الذي منحوه إيّاه بأنه في غاية الدقة وكان يحل كالسيف والبرق ويختفي كالشبح، نعم كان كذلك وكان كالسيف يحل في الوقت المناسب ويختفي بسرعة. فهذا الإنسان بهذه الخصوصية، كانت لديه تبعية عجيبة، ولم يكن عماد يتبع أوامر سماحة آية اللّه السيد حسن نصر اللّه فقط، وأنا أقول سماحة آية اللّه، وأنا لست بموقع أمنح فيه مرتبة فقهية لأحد، ولكنه آية اللّه لأنه يحمل الكثير من آيات اللّه أمام الأعداء، وهو آية اللّه القائم والصامد أمام أعداء اللّه، وهو آية إلهية. فما معنى الآية الإلهية؟ هل هي في الفقه فقط؟ فكان عماد أمام هذه الآية الإلهية وأمام هذه الشخصية الفريدة روحي فداء له، كشخصية السيد حسن نصر اللّه، كان عماد متوضعاً أمامه، وربما كان لديه وجهة نظر مختلفة في موضوع ما يأمر به السيد حسن نصر اللّه، ولكنه كان يلتزم بتنفيذ الأوامر، وكان يعتقد لنفسه بوجوب الإطاعة.

لا يتذكر أحد من المجاهدين وغير المجاهدين في لبنان، جملة يذكرها هذا القائد العزيز لحزب اللّه، ولا يلتزم بها الشهيد عماد. وكنت ارى بعض الأحيان بأن السيد كان قلقاً، كان عماد يجلس معه حتى الفجر، ولم يكن يغادر منزل السيد حتى يرسم الإبتسامة على شفتيه ويشعر بأنه راض. وكان يعتقد بأن الذي جعلنا نلتزم، والذي منحنا العزة، والذي أعز لبنان، هو السيد حسن نصر اللّه، لذلك كان يعتبر نفسه ملتزما بأوامره.

وأنا اعتبر أن إستشهاد عماد كان بالنسبة لهذا السيد العزيز والمظلوم، فالمظلوم له بعدان، أحدهما بسبب نوع الحوادث التي تلم بذلك الشخص، والبعد الآخر أن يتمتع الإنسان بعظمة ويسعى ويجاهد، ولكن الآخرين يسعون لإنكار سعيه وجهاده. والسيد مظلوم من هذه الناحية، لأنه ليس فقط كان منقذاً للشيعة وهو كذلك، بل أن المسيحية تعتقد بأن بقاءها كان بتدبير منه، وكذلك أهل السنة المدافعون عن الإسلام والتابعون للإسلام الأصيل، فلماذا يصمدون مع حزب اللّه، ولماذا العديد من الشخصيات الدينية القيمة من اهل السنة، لا تنفك عن حزب اللّه، ما سر ذلك وما قيمته، فالسعودية تمنح المليارات، بل هذه هي معرفة الحق. لقد كانت شهادة عماد ثقيلة جداً عليهم وأنا أتذكر جمل أمير المؤمنين في رثائه لمالك الأشتر، فأمير المؤمنين بكل عظمته ومناقبه السامية وجلالة قدره وشجاعته وفضيلة ليلة مبيته في فراش الرسول وبطولاته في بدر وأحد وخيبر وفتح مكة، بكى لمصرع مالك الأشتر وقال جملته الشهيرة:

«مالك وما أدراك ما مالك، واللّه لو كان جبلا لكان فلدا، ولو كان حجرا لكان صلدا، لا يرتقيه الحافر ولا يوفى عليه الطائر».

ثم قال: واللّه ليحزن موتك عالما، وليفرحن موتك عالما.

وكان عماد كذلك، وإستشهاده أهدم عالماً، وأسر عالماً. أدخل العالم الإسلامي في حزن جلل، وأدخل السرور إلى عالم الأعداء، ولكن هذه النقطة مهمة وهي أن الإسلام يتمتع بقدرة التجدد، وصحيح أن عماد شخصية غير قابلة للتكرار بنوعها، ولكن الإسلام يخرج من رحمه دوماً شخصيات جديدة، ففي المدرسة التي درس وتربى فيها، فإنها تواصل التربية وتقديم الشخصيات إلى العالم الإسلامي، وإن هذه لن تكون النهاية كما لم تكن غيرها، والأمر الذي يعرفه العدو ويجب أن يعرفه بجدية، وهي أن الثأر لدم الشهيد عماد، ليس إطلاق صاروخ، وأن الثأر لدم عماد ليس قتل شخص ما، بل الثأر لدم عماد وجميع أمثاله الذين استشهدوا في فلسطين ولبنان، وكذلك الذين إستشهدوا في إيران وأماكن أخرى بمؤامرة العدو الصهيوني، الثأر لدم عماد هو إزالة ومحو هذا الكيان الصهيوني القاتل للأطفال.

العدو يعلم بأن هذا الأمر حتمي، ويعلم أنه بجانب كافة حالات الإستشهاد التي تقع، فإن عشرات الأطفال يولدون من رحم هذه المدرسة ويحملون نفس الصفات ويملأون مكانهم ويقتفون آثارهم، لذلك فإن هذا الوعد الإلهي سوف يتحقق لا محالة ونحن مطمئنون بالوعد الإلهي، فنحن نؤمن بصدق الوعد الإلهي وقد رأينا صدقه مرات عديدة في مواقع مختلفة وسوف نرى الوعد الإلهي أيضاً في قصاص دماء هؤلاء الشهداء الأبرار، ونحن لن ننسى ابداً، ولا نمضي ليلة من عمرنا دون التفكير بعدونا، ولا تمر اي لحظة من عمرنا دون أن نرى العدو أمام أعيننا ونفكر به.

هذا الكيان، لن يبقى. وأفعال هذا الكيان تبين بأنه كيان غير مستقر، ولا تلوح منه أي أفعال وآثار تدل على الإستقرار، فآثار الإستقرار تظهر من خلال الأفعال، والأفعال التي يرتكبها الكيان الصهيوني، تدلل على عدم إستقرار هذا الكيان وليس على إستقراره. ونحن نرى هذه الآثار ونشعر بها. ونحن نرى الهلع والتخبط والأعمال الجنونية الفاشلة، فهذه كلها من آثار المحاولات اليائسة والأخيرة لهذا الكيان. لذلك أقول بأن هذا الكيان لن يكون كيانا مستقرا. وهذا الطريق سوف يستمر، طريق الشهداء وطريق عماد مغنية وطريق جهاد مغنية وطريق باقي الشهداء الأبرار في فلسطين ولبنان والعراق وسائر الأماكن. واليوم أنتم ترون بأن جبهة المقاومة تبدلت اليوم من جبهة ومنطقة محدودة ونقطة معينة، إلى جبهة واسعة وكبيرة، وسوف تكبر يوماً بعد يوم.

نسال الباري سبحانه وتعالى أن يوفقنا وسائر المجاهدين في هذا الطريق من أجل تحقيق الوعد والإرادة الإلهية في إنقاذ الإسلام والمسلمين، وأن يوفقنا لشد أحزمة الهمم ورفع الرؤى ووجهات النظر من التراب إلى العرش الأعلى، حتى نسعى لإنقاذ الأمة الإسلامية التي هي بحاجة لنا فردا فردا من أجل رفعتها وإستمرار حياتها، وأن نرتقي بهممنا للدفاع عن الإسلام ونشد أحزمة العزم، ونواصل هذا الطريق الذي يقترب من قمم النصر ونختمه بالتوفيق والنجاح.

أعتذر عن الإطالة في الكلام وأرحب بأخينا العزيز الدكتور ولايتي، وارحب مرة أخرى بجميع الضيوف الأعزاء.

أسأل الباري سبحانه أن يجعل هذا العمل الثمين مقدمة لأعمال متعددة أخرى وفي أماكن أخرى بعيدا عن التوجهات والنظرة المذهبية والقومية والعنصرية، لكي يتمكن شباب العالم الإسلامي من خلال التعرف على هذه الروحيات من التحديد الدقيق لطريقهم ومواجهة مؤامرات الأعداء.

والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته ..